عليك في قبول صلته وصدقته ولا يلزمك البحث بان تقول قد فسد الزمان فان هذا
سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مأمور به ثم اعلم ما هو الا
في هذا الكتاب وهو ان ههنا شيئين احدهما حكم الشرع وظاهره والثاني حكم الورع
وحقه فحكم الشرع ان تأخذ ما ان كان في ظاهره صلاح ولا تسال الا ان تتيقن انه غصب
او حرام بعينه وحكم الورع ان لا تأخذ من احد شيئا حتى تبحث عنه غاية البحث
وتستقصي غاية الاستقصاء فتستيقن انه لا شبهة فيه بحال والا فترده ولقد
روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان غلاما له اتاه بلبن فشربه فقال الغلام كنت
اذا جئتك بشيء سألتني عنه ولم تسألني عن هذا اللبن فقال وما قصته قال رقيت
قوما في الجاهلية فاعطوني هذا فقاءه ابو بكر وقال اللهم هذا مقدرتي فما بقي في العروق
فانت حسبه فهذا يدلك على وجوب البحث عما تقدم عليه ان كان لك نظر
في الورع وحقه فخذ هذه **فان قلت** فكان الورع خالف الشرع وحكمه **فاعلم** ان
الشرع موضوع على اليسر والسماحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية
السمحة والورع موضوع على التشديد والاحتياط كما قيل الامر على المتقي اضيق من
عقد التسعين ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما في الاصل واحد لكن للشرع حكمان
حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجائز يقال له حكم الشرع والافضل الاحوط
يقال له حكم الورع فهما مع تميزهما واحد في الاصل فافهم ذلك راشدا **فان قلت**
اذا كان البحث والاستقصاء عن كل شيء قد سد علينا ما نأخذ وهذا لزما ل

وتقذر

وتقذر الامر ثم على صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ يبلغه الى الطاعة **فاعلم** ان طريق الورع
شديد وان من قصد سلوكه فشرطه ان يوطن نفسه وقلبه على احتمال الشدة والا
فلا يتم له ذلك ولهذا المعنى صار الكثير من اهل الورع والنساك ينابون الجبل لينالوا وغيره
واقتصروا على اكل الخبيز وثمرات نابتة لا شبهة فيها فحال من سمت همته الى بلوغ منزلة
الورع الاعلى فعليه ان يحتمل الشدايد ويصبر عليها ويسلك طريق اولئك
لينال منزلتهم واما ان اقام بين الناس واكل مما يتداولونه في ايديهم فليكن عنده بمنزلة
الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة ثم لا يتناول منها الا مقدار ما يبلغه الى الطاعة فيكون له
عذر في ذلك ولا يضره وان كان في اصله شبهة فان الله تعالى اولى بالعذر ولهذا
قال الحسن البصري رحمه الله عليه فيما يسوق عليكم بالقوت بلغني عن وهب
بن الورد انه كان يجوع نفسه يوما ويومين وثلثة ثم يأخذ رغيفا ويقول
اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة واخشى الضعف والا لم اكله اللهم ان كان
فيه شيء من خبث او حرام فلا تؤاخذني ثم يبل الرغيف في الماء فيأكله قلت
فهذان الطريقان للطبقة العليا من اهل الورع فيما نعلمه واما من دونهم فلهم
احتياط وبحث على مقدارهم ولهم ايضا نصيب من الورع على مقدارهم وبعد
ما تتعنى بنا لها تتمنى والله تعالى لا يضيع اجر من احسن عملا وهو عليم بما
يفعلون **فان قيل** فهذا جانب الحرام فاخبرنا عن جانب الحلال وما حد الفضول
الذي يلزم منه الحبس والحساب وما المقدار الذي اذا اخذه العبد يكون ذلك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)